# علاقة الممارسة المسرحية بالعلاج النفسي تقنية السيكودراما أنموذجا

# The relation of theatrical practice with psychotherapy .Psychodrama technique as a model

**صلاي عباس**

جامعة الجيلالي ليابس .سيدي بلعباس الجزائر، Abbes2222@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/01 تاريخ القبول: 2022/01/29 تاريخ النشر: 2022/03/04

**. ملخص:**

يمكن أن يستفيد الفن من علم النفس، لاسيما الدراما التي تحرك مسارها امراضا نفسية وحالات سيكولوجية معقدة،وقد ساعدت نظرية التحليل النفسي على تفسير الظاهرة الابداعية، كما أنها أمدت النقد الفني بمنهج يستند على الأسس النفسية ذات صلة بالممارسة الفنيةككل. كماتم التحقيق من وجود ما يسمى بالبسيكودراما التي تصبو إلى علاج الأمراض النفسية المعقدة من خلال برامج وتقنيات مدروسة دراسة أكاديمية دقيقة.

**كلمات مفتاحية:**

العلاج النفسي، البسيكودراما، الأمراض النفسية، الممارسة المسرحية، الدراما، التحليل النفسي.

**Abstract:**

Art can benefit from psychology, especially drama, whose path moves psychological diseases and complex psychological situations. Psychoanalytic theory has helped explain the creative phenomenon, and it has provided art criticism with an approach based on psychological foundations related to artistic practice as a whole. The existence of the so-called psychodrama that aspires to treat complex mental illnesses through carefully studied programs and techniques has also been investigated

**Keywords:** Psychotherapy, psychodrama, mental illness, theatrical practice, drama, psychoanalysis

## 1. مقدمة:

يشكل المسرح جوانب جد مهمة من النشاطات النفسية، وخبرات وجدانية ومعرفية ودافعية، حيث يجسد ويبرز حالات نفسية متشعبة لشخصية الفنان الممارس ولنفسية المتلقي، وتجعل الباحث يستفسر حتى عن حالات نفسية لبعض الشخصيات العالمية، ويتساءل عن امكانية ارتباط الفن بالنفس والحياة والحضارة، وعن كيفية حدوث الأفعال الانسانية في اطارها الدرامي.

يتبادر التساؤل أيضا عن استفادة الفن والأدب والممارسة النقدية من نظريات علم النفس، وعن امكانية أجرأة وتفعيل العلاج النفسي من خلال المارسة الدرامية، والاستفسار عن التقنيات والمناهج المتاحة التي تسهل هذه العملية ، ومدى تحقيقها للأهداف المرجوة والمنشودة.

## 1 )علاقة علم النفس بالنتاجات الفنية:

أراد فرويد أن يلج إلى عالم الفن والابداع لعله يكتشف أسرارا تساعده على معالجة مرضاه، وتدعم ما أسس من نظريات ومفاهيم، فمزج الفن بعلم النفس، وقد حاول أن يُخضع نظرية التحليل النفسي ويطبقها على العالم الفني والابداعي.

وجد فرويد في العالم الفني ملاذه، فقام بممارسة نظريته على الفن كطبيب، فركز على تحليل شخصية الفنان المبدع، لأن نظرية التحليل النفسي تبحث في عمق الانسان، وتتوغل إلى كل ما يصدر عنه، من خيال وأداب وممارسات فنية وابداعية،

ذلك أن الفنان انسان مميز ينطلق في ابداعه من انفعال وخيال، وكل ما يضمره عقله الباطن حسب نظرية فرويد.

بقراءته لرواية " كراديفا" ل **يانس جانسن** وأعمال **دوستويفسكي** وبعض مسرحيات **شكسبير**، دحض فرويدكل فكرة تحيل الابداع إلى العقل والوعي والبيئة والمجتمع ، لأن أساس الإبداع عند فرويد هو اللاشعور "فيكون مصدرا حقيقيا للإبداع وللكشف عن حقيقة المؤلف في نفس الوقت، لأن الإبداع في جوهره ليس إلا تنفيسا عن الصراع الذي يسكن الشخصية ، وراء تفاعل أليات متعددة من قمع و كبت وتسامي وتبرير وقلب وتقهقر " (1).

وبالتالي فإن نظرية التحليل النفسي ، ينصب اهتمامها في تفاعلها مع العملية الإبداعية تحليلا ونقدا على أن "الدلالات الباطنية في العمل الأدبي والفني الذي قد يتأثر بالعقل الباطني عند الفنان أكثر من تأثره بالعقل الواعي"(2)

أراد فرويد أن يبحث عن الاسس النفسية للممارسة الإبداعية وعن كل سبب يدفع المبدع إلى تعاطي الفن بكل أشكاله دفعا،وبالتالي نلاحظ أن فرويد قد اهتم بشخصية الفنان ونفسيته ومعاناته وعقده وطفولته،أي حاول أن يجد تفسيرا سيكولوجيا لظاهرة الممارسة الفنية بتفاصيلها وحيثياتها.

إن فكرة فرويد هذه كانت بمثابة القاعدة الجذرية التي تتشعب عنها أفكار جزئية أخرى، مثل التفكير السيكولوجي وحتى السوسيولوجي والفلسفي العميق في ظاهرة تلقي الأعمال الفنية،ونفسية المتلقي ومدى تأثيره وتأثّره بالنتاجات الفنية.

**2) ميلاد منهج النقد النفسي:**

دفعت هذه المفاهيم والتساؤلات ثلة من المفكرين والباحثين،إلى الولوج إلى لب الأعمال الفنية والأدبية،وتناولوا التيمات،والشخصيات البطلة لبعض المسرحيات العالمية، وقد تساءلوا عن نفسية عطيل وعن غيرته المفرطة،واستفسروا عن الحب القاتل لكل من روميو وجولييت.

وطبعا دون أن ننسى السؤال الذي حاول مفسرون كثيرون أن يجيبوا عنه والذي قد حيّر زمرة من الأكاديميين ألا وهو " لماذا تخلف هاملت وتوانى وتثاقل عن أداء واجب الانتقام؟" وقد أتيحت إليه فرص سانحة لقتل عمه الذي سمّم أباه وتزوج أمه.

سار كثير من العلماء على نهج فرويد وهم يستثمرون الأعمال الفنية، فلاسفة وعلماء النفس من جهة أمثال "يونغ"، ونقاد أدبيين من جهة أخرى أمثال " شارل مورون"،هذا الأخير الذي يعتبر أول من اقتحم هذا المجال الممزوج بين علم النفس والفنون كناقد وكأديب.

وبالتالي تمكّن شارل مورون من اختراع منهج نقدي لم يسبق له مثيل،فاستطاع أن يفصل بين الفن وعلم النفس،"وجعل من الأول أكبر من أن يبقى شارحا ومفسرا للثاني ،فاستبعدأن يكون التحليل النفسي للفن والأدب مجرد تحليل اكلينيكي تحكمه قواعد التشخيص الطبي".(3)

**3)الممارسة الفنية وآليات الدفاع عن النفس:**

إن الابداع على اختلاف أنواعه هو الأرضية الخصبة التي تستقبل نفسية الانسان، هذه الأخيرة كتلة مركبة ومعقدة قد أسس لها فرويد نظرية أساسية ألا وهي نظرية التحليل النفسي ببنودها وقواعدها، وأبعادها الفلسفية التي تناقش الانسان والحياة والمجتمع والحضارة ككل.

جعل فرويد لهذه النفس منظمات ثلاثة تتمثل في "الهو"، "الأناالأعلى"و"الأنا"التي تتصارع فيما بينها،فينتج عنها ما أسماه آليات الدفاع عن النفسوالتي تتلخص في العدوانية، الكبت، النرجسية، السادية والمازوشية والعقدبأنواعها وحيثياتها.

هذا يعني أن النظام النفسي ( حسب فرويد طبعا)يعمل في مستويات ثلاثة ف "الهو" كابتة "الأنا الأعلى" ومنظمة وموجهة "الأنا"، يقوم الفرد بكبت نواهي ( الأنا الأعلى) بدفعه إلى العقل الواعي التي لا تظهر إلا في صورة مشوشة أو مموهة، كفلتات اللسان أو الأحلام أو العمليات الابداعية خاصة.

ذلك أن الممارسات الفنية والدرامية خاصة، لا تستغني عن العدوانية والأمراض النفسية والعقد، وإلا كيف نفسر المسرحيات العبثية لأوجين يونيسكو مثلا، حيث تفَكُّك الأشخاص وتناقض الأحداث وتلاشي الحوارات، وأغلبية الأفلام السينمائية لألفريد ايتشكوك وغيرهاوالتي تركز موضوعاتها وتعالج الأمراض النفسية التي تمسك بالحبل الدرامي.

**4)الممارسة الدرامية والعلاج النفسي:**

مايقصد من الممارسة الدرامية هنا هو التمثيل المسرحي، وعلاقته بعلم النفس والوقاية من الأمراض النفسية وعلاجها، طبعا إن وُجدت.تتضح هذه المفاهيم من خلال التساؤلات التالية: هل يلج الممثل إلى كبته وعقده من خلال ولوجه إلى كبت وعقد الشخصية الدرامية؟أهو معرض للأمراض النفسية والعصاب والجنون؟أم أنه محظوظ لأنه يثير انفعالاته من خلال انفعالات الشخصية التي يؤديها،كالحزن والاحباط واليأس والقلق، فيعبر عنها،و من ثمّ يصرفها فينعم بشيء من الطمأنينة والراحة النفسية.

لماذا اخترت الممثل بالذات؟ لأن هذا الأخير يقتحم عالم الخيال، عالم تتلبس فيه الأحداث والشخصيات قيمة الوقائع والحقائق، فيشبه ذلك إلى حد ما الحلم، فيسمح للسيرورات النفسية الفعالة من الارتقاء حيث الوعي وذلك عن طريق التطهير الذي نادى

به "جوزيف برووير" ( زميل فرويد طبيب وفيزيائي نمساوي) وهو نوع من العلاج النفسي الذي يقوم على انتزاع الأسرار التي ترهق الشخص من أفكار وعواطف مكبوتة.

لا يفعل الممثل ذلك من خلال الكلام فقط، وإنما بمعايشة شخصية أخرى ككل، أي بالكلام والاماءة والحركة والتحرك والصراخ والبكاء والضحك، فيشغل قدراته الذهنية وعاطفته وجسده( إذا كان يخضع لبنود منهج ستانيسلافسكي طبعا) باستمرار، فهي عملية دائمة ومتكررة.

إن الأمر يتعلق بتحريك مستويات سيكولوجية باستمرار من أجل أن يتفاعل المتلقي في كل عرض مع هذا الجو المشحون والحافل بأوقات وجدانية ونفسية مركزة، والمهيمن هاهنا هو الممثل الذي يبدع انطلاقا من التذكر والاسترجاع وايقاظ انفعالات معينة، ذلك أن فن التمثيل ( حسب ستانيسلافسكي) يعتمد على خبرة الممثل وحياته الداخلية والعاطفية، ممزوجة بقدرات خيالية وذهنية.

من الطبيعي أن تسبب كل هذه القدرات النفسية والذهنية التي يبذلها الممثل قلقا كبيرا وتوترا " حيث يعتقد بعض المحللين النفسانيي المحترفين أن الفنانين المؤدين هم غالبا مجموعة من الأفراد سيئي التكيف اجتماعيا وأنهم غير ناضجين واستعراضيين وأنهم لم يشبوا قط عن الطوق الملائم،أو أنهم مجموعة من العصابيين المنغمسين في برنامج خاص للعلاج الذاتي"(4).

وإذن، هل يتسبب التمثيل في الأمراض النفسية أم هو وسيلة للعلاج النفسي؟ لقد أقبل عدة محللين نفسانيين على استثمار فن الدراما، فتألق " جاكوب ليفي مورينيو" ( مُنظر وطبيب نفساني روماني ومؤسس أول جمعية للعلاج بالسيكودراما)، ولقد اهتم بسلوك الشخصية الانسانية في مجال المسرح والتمثيل إلا أن هذه العملية غايتها طبية علاجية.

كماأجرى ( جلين ويلسون طبيب نفساني انكليزي) دراسات تحليلية نفسية في مقارنة بين الممثلين وغير الممثلين خلص من خلالها إلى أن"الممثلين هم أكثر انبساطية وأكثر ميلا للمغامرة..هم عدوانيون وغير قادرين على الشعور بالمسؤولية،يعانون قلق الأداء وتعاطي الكحوليات"(5)

تبقى النتائج التي توصل إليها جلين ويلسون نسبية بعيدة عن الجزم والطلاقة، ولكن ما يسبب هذا القلق هو الخشبة طبعا،لأن الممثل هو موضوع التأمل والتحديق، وبمجرد توقعه أنه سيفشل في أدائه،فيتولد لديه حينئذ الشعور بالضغوطات فيصاب بالقلق العصابي،وهو شعور بعدم الأمان نتيجة المواقف البيئية الضاغطة.

نعم،يمكن القضاء على القلق الذي تسببه رهبة الخشبة، بل يمكن تحويل هذا القلق من عامل سلبي مخرب إلى عامل ايجابي،بالانصات إلى ارشادات وتوجيهات المخرج وبمواجهة الجمهور باستمرار فيكتسب الممثل التجربة ويتعود على هذه المواجهة.

وهاهو (ستانيسلافسكي) يجد حلا لهذه المعضلة بايجاد تقنية التدريب على التحليل الذاتي وازالة التوتر بشكل آلي غير واعي، يقول ستانيسلافسكي:" على الممثل أن ينمي داخل عقله ملاحظا أو مراقبا خاصا،حيث يتمكن من مراقبة أي توتر عصبي، سواء في الحياة العادية أو على الخشبة، فبمجرد ما يظهر يعمل على ازالته." (6)

**5 البسيكودراما وتطبيقها:**

نتجت عن النظريات السابقة، مذ أرسطو ومفهوم التطهير،ونظرية التحليل النفسي، ومنهج النقد النفسي ( في اطاره الفني والأدبي) مفاهيم كثيرة من قبل عدة مفكرين وفلاسفة الذين اهتموا وبحثوا في كل ما هو سيكولوجي/نفسي، وهاهو مورينو يطبق هذه المفاهيم في عيادته، ويجعل لها وضعيات انطلاقية وبرامج وغايات منشودة.

وظف مورينو تقنيات عديدة من أجل أجرأة وتطبيق علاجه النفسي بواسطة الدراما والعمل المسرحي، من بين هذه التقنيات، ركز على تقنية المرآة وتقنية الادراك الرمزي وتقنية الظل وخاصة تقنية لعب الأدوار.

بعد تشخيص حالة المريض، يقوم الطبيب بترجمة مشكلته تلك إلى مشاهد درامية، ويقوم المريض بالاداء والتمثيل رفقة زمرة من المرضى، "ذلك أن لعب الأدوار يعزز الاحترام ويوجد البدائل،يغير السلوك بسلوك جديد،فهي عملية تعليمية من خلال اللعب

بدلا من توجيه النصيحة المباشرة والتحليل للموقف وهي تساعد البطل( المريض) على اكتساب الثقة في نفسه وفي الجماعة والتطور الايجابي"(7)

إن لعب الأدوار هو أحد أشكال العلاج النفسي القائم على مبدأ التلقائية في الأداء، حيث يقوم المريض بتمثيل بعض المواقف، ويؤدي الطبيب دور المخرج فيقوم بتحديد أدوار لها علاقة بالحالة التي يتم علاجها، وتوزع بين المشاركين ( زمرة المرضى تحت رعاية الطبيب) انطلاقا من خطة محفزة تدفع المشارك إلى أداء الدور والابداع فيه.

يقوم العلاج الدرامي إذن، على الحركة والايماءة وأداء الدور والتعبير عن فكرة ومحاكاة حالة وجدانية معينة، تتميز السيكودراما كذلك بقدرتها على استرجاع الماضي والتعامل مع الحاضر، وتتصف بتفاعلها أو تأثرها بالأخر، كما يمكنها أن تقدم امعلومة وتعبر عن فكرة في جو حافل بالشوق والمتعة.

يمكن تطبيق العلاج الدرامي في أماكن مختلفة، في العيادة والمراكز الاجتماعية وحتى مؤسسات اعادة التربية، والغاية طبعا هي العلاج من الأمراض النفسية والعقلية كالاحباط والياس وما يخلفه التعاطي والادمان.

للبسيكودراما إذن، أهمية علاجية كبيرة،حيث تصبو إلى "مساعدة المريض على أن يتجاوز مشاكله وإحداث تغير في المعرفة والسلوك والمشاعر، فالعلاقة القائمة بين

المريض والمعالج هي بمثابة وسيط علاجي، فالعلاج النفسي لا يكون دوما تطهيرا انفعاليا،بل هو خبرة تجمع مابين الانفعال والمعرفة والاستبصار والادراك العقلي."(8)

صارت الدراما مهمة بالنسبة للعلاج النفسي، حيث وظفت أيضا في الأوساط التربوية، حين أكد كثير من المربين والمعلمينأن الممارسة المسرحية تعدعم العملية البيداغوجية بامتياز، ويستفيد منها خاصة التلاميذ الذين يعانون مشكل نفسية واضطرابات تعيقهم وتمنعهم من تنمية قدراتهم الذهنية كعدم التركيز والانتباه وعدم الاستقرار والخجل والعزلة والعقد النفسية المختلفة.

**خاتمة:**

أجمع الفلاسفة والمفكرون على أن الابداع الفني يدفع الأمم إلى التطور والازدهار في جميع ميادين الحياة، ذلك أن الخلق الفني يحقق المتعة النفسية وينمي الذائقة ويروض الخبرات والتصرفات السوية التي ترتقي بالانسان إلى مستوى الانسانية.

وبالتالي، إنه لمن الطبيعي أن يلتفت علم النفس إلى الظاهرة الفنية لا سيما الدراما، لعله يستفيد منها، ويتحقق العلاج النفسي من خلال الممارسة المسرحية أو وصفها كأداة للوقاية من أمراض نفسية عديدة.

لقد بينت تجارب قد طبقها عدة علماء أمثال موينو وجلين ويلسون أن بامكان السيكودرامامعالجة الاضطرابات و تعديل السلوك هذا لتميز الدراما بالعفوية والارتجالية التي تساعد على التنفيس والتداعي الحر والاسقاط.

ارتبط مصطلح علم النفس أيضا بكلمة التمثيل و الأداء خاصة في منهج ستانيسلافسكي والبنود التي جاء بهاوالمتعلقة بفلسفة التمثيل ككل، وبالتالي يتراءى للباحث في هذا المجال إجراء دراسة حول الأسس النفسية للممثل، ذلك أن الممثل عرضة للكآبة والحزن والضغوطات النفسية ( مثل ما يرى ذلك جلين ويلسون في كتابه سيكولوجيا فنون الأداء).

إن هذه الدراسات تفيد الممثل بالدرجة الأولى إما من أجل المعالجة النفسية، أو الوقاية وتجنب الوقوع في آفات التعاطي ومن ثم الكآبة واليأس وحتى الانتحار في بعض الحالات .

استفاد أيضا أهل الفن والنقد والأدب من علم النفس فتشكل مايسمى بمنهج النقد النفسي، وهو نتيجة خلية تقاطع بين علم النفس – خاصة نظرية التحليل النفسي– والنقد الفني حيث شكل هذا المنهج إثراء للعملية الابداعية الفنية، وصار يمتلك خبرات وملكات من للكشف بصيغ متعددة عن حقائق معرفية و فنية جمالية.

إن المنهج النفسي يقوم بفك الشفرات والاشارات والرموز ، ويسعى إلى الاجابة عن أسئلة لها علاقة بدوافع الابداع ونفسية المبدعين، وكيف أن النصوص والكتابات تفسر انطلاقا من الاحلام والاستيهامات وآليات الدفاع، وتبحث أيضا عن سيكولوجية المتلقي وتستفسر حتى عن نفسية الشخصيات المتخيلة.

## 5. قائمة المراجع:

1 حبيب مونسي ،نقد النقد ، المنجز العربي في النقد الأدبي ، الدراسة في المناهج ، منشورات دار الأديب ، وهران ، د.ت، ص101

2 نبيل راغب ، موسوعات النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط1، 2003، ص.355

3 زين الدين مختاري،مدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في صورة العقاد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998،ص16

4 جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء،تر شاكر عبد الحميد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداء،الكويث، 2000،ص.315

5( جلين ويلسون، مصدر نفسه، ص 340

6 عثمان الحمامصي، نظرية ستانيسلافسكي والنظريات المعارضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994،ص97-98

7 أحمد عكاشة، الطب النفسي المعاصر، ط1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2003،ص88

8 كمال الدين حسين، الدراما والمسرح في العلاج النفسي، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، 2015،ص40